

العنوان:	المقاصد الشرعية عند ابن حزم الظاهري
المؤلف الرئيسي:	ابن شيرازي، أرواني
مؤلفين آخرين:	الخادمي، نور الدين بن مختار(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2006
موقع:	تونس
الصفحات:	1 - 175
رقم MD:	926817
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة الزيتونة
الكلية:	المعهد الأعلى لأصول الدين
الدولة:	تونس
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	المقاصد الشرعية، ابن حزم الظاهري، علي بن محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب، ت. 465 هـ، التراجم، النصوص الفقهية
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/926817">http://search.mandumah.com/Record/926817</a>

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

ابن شيرازي، أرواني، و الخادمي، نور الدين بن مختار. (2006). المقاصد الشرعية عند ابن حزم الظاهري (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الزيتونة، تونس. مسترجع من  
<http://search.mandumah.com/Record/926817>

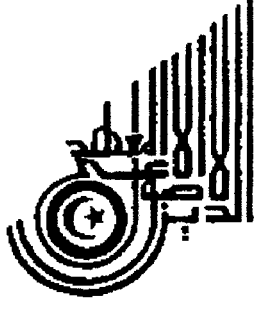
إسلوب MLA

ابن شيرازي، أرواني، و نور الدين بن مختار الخادمي. "المقاصد الشرعية عند ابن حزم الظاهري" رسالة ماجستير. جامعة الزيتونة، تونس، 2006. مسترجع من  
<http://search.mandumah.com/Record/926817>

REPUBLIQUE TUNISIENNE

MINISTRE  
DE L'ENSEIGNEMENT  
SUPERIEUR, DE LA  
RECHERCHE SCIENTIFIQUE  
ET DE LA TECHNOLOGIE

UNIVERSITE EZ-ZEITOUNA  
INSTITUT SUPERIEUR DE  
THEOLOGIE



الجمهورية التونسية

وزارة التعليم العالي والبحث

العلمي والتكنولوجيا

جامعة الزيتونة

المعهد الأعلى لأصول الدين

# المقاصد الشرعية لمحمد ابن حزم الظاهري

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير  
(الاختصاص: الشريعة الإسلامية)

إعداد الطالب:

أرواني بن شيرازي

إشراف الدكتور:

نور الدين بن مختار الخادمي

السنة الجامعية:

1426 - 1427 هـ / 2005 - 2006 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الإهداء:

- إلى أرواح والدي شيرازي بن عبد الرحيم، ووالدتي تسميعة بنت عبد الحنان، وأختي صورة العين، رحمهم الله تعالى وجعلني الله من بعض حسناتهم.
- إلى من علّمني وأدّبني وأرشدني
- إلى الإخوة، والأقارب، والأصدقاء
- إلى هؤلاء جميعا أهدي هذا البحث المتواضع....

## الشكر والتقدير:

أتوجّه بجزيل الشكر ووافر التقدير والاحترام إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث العلمي من قريب أو بعيد.

وأخصّ بالذكر أستاذنا المشرف الدكتور نورالدين بن مختار الخادمي مكبرا فيه رحابة صدره وكثرة صبره، والسيد مدير المعهد الأعلى لأصول الدين، وكافة أساتذة المعهد وموظفيه.

كما أشكر لدولة تونس إتاحتها لي فرصة الدراسة بجامعة الزيتونة المعمورة، ولا يفوتني أن أشكر القائمين على المكتبات التي عملت بها، وأخصّ بالذكر المكتبة المركزية بجامعة الزيتونة، ودار الكتب الوطنية التونسية.

ولا أنسى أبدا فضل إخواني وأخواتي وأقاربي وأصدقائي، جزاهم الله عني خيرا وبارك لهم وفيهم، وصلى الله على سيّدنا محمد والحمد لله رب العالمين على جليل نعمه ووافر عطائه الكريم.

## الرمز:

لحصر الآيات القرآنية	﴿ 》
لحصر الأحاديث والنصوص المنقولة	" "
المصدر نفسه	م.ن
المصدر السابق	م.س
الصفحة	ص
الجزء	ج
الميلادي/ الهجري	م/هـ
دون السنة	د.ت
الحديث رقم	ح
العدد	ع
السنة	س
الطبعة	ط

## المقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه،  
أما بعد:

فإن هذا البحث - المقاصد الشرعية عند ابن حزم الظاهري - يعني بدراسة إسهام المدرسة الظاهرية في مرحلتها الحزمية في مجال المقاصد الشرعية، فمعلوم أن جل المدارس الإسلامية قد أسهمت - بنسب متفاوتة - في هذا الجانب الهام من الفكر الإسلامي، وأمثال هذه المدارس: المدرسة المالكية المتمثلة في الإمام الشاطبي (ت: 790 هـ)، والمدرسة الشافعية المتمثلة في الإمام عز الدين بن عبد السلام (ت: 660 هـ)، والمدرسة الحنابلة المتمثلة في الإمام نجم الدين الطوفي (ت: 717 هـ) إلخ....

ويرجع الفضل إلى ابن حزم (ت: 456 هـ) في تحويل المذهب الظاهري، من موقف أصولي من التعليل والقياس إلى نظام معرفي عام مترابط الأركان ومنضبط القواعد، له مواقف من شتى مجالات المعرفة الإسلامية بما فيها علم الفقه والأصول والمقاصد.

وقد حظيت ظاهريته وفكره باهتمام الكثير من الدارسين والباحثين، وهو شيء لا يثير أي استغراب. فابن حزم بالنسبة للجميع هو ذلك المفكر الموسوعي الذي شمل فكره كل الميادين من فقه وأصول وكلام وفلسفة وتاريخ ومنطق وأخلاق، هو ذلك العالم الناقد الذي عرف منهجه النقدي بسمة خاصة، وعرفت ظاهريته بالتالي بنكهة خاصة. وكان من بين أولئك الأعلام - الذين كانت لهم مساهمة في مجال الأصول والفقه - في القرن الخامس الهجري، وقد لاحظت أن الباحثين عن هذا الإمام لم يتعرضوا للتفصيل عن الكلام في جانب المقاصد الشرعية عن فكرة هذا العالم الموسوعي، فكان من المهم الوقوف على ذلك.



## إشكالية البحث:

ظهرت في هذا العصر فئات من المسلمين يسلكون في فهم الدين مسلكا حرفيا، لا يقبلون أي تبرير تجاه المصلحة الواجب جلبها أو المفسدة الواجب درءها في واقع المجتمع الإسلامي، فكان الشريعة الإسلامية تنحصر في النصوص فقط دون أي شيء ما واره ذلك من مقاصدها. فبقي في كل وقت أناس ميولهم ظاهرية، ولكنهم لم ينتظموا في مذهب أو يكوّنوا مذهباً جديداً بهذا الاسم. (موجز دائرة المعارف الإسلامية: 7010/28، مركز الشارقة للابداع الفكري، ط: 1 س: 1418 هـ - 1998 م) فهذا الاتجاه - قديماً - قد انطبق في أصحاب الظاهر بما فيه فقيهننا ابن حزم (ت: 456 هـ) الذي أثار معالم هذا المذهب، رغم أن في حقيقة الأمر من موقفه الحرفي لا يزال بحاجة إلى الدراسات الدقيقة، فإن الكثير من الباحثين عن أفكاره وجدوا من خلال مؤلفاته نوعاً ما من الاضطراب بين تصريحاته في الرفض عن الاستدلال والاجتهاد المقاصدي وبين الواقع العملي في استنباطه للأحكام. ومن هذه الإشكالية، لا شك أننا بحاجة إلى مزيد من التوضيح عن موقفه تجاه المقاصد الشرعية، ونحن في هذا البحث سنحاول - بإذن الله تعالى - إبراز كل ذلك.

## أهمية البحث:

إن أي موضوع كان إنما يأخذ أهميته من طبيعة المواضيع التي يتناولها والتي تشكل جوهره ولبّه، ومن ثم كان الاهتمام بعلم مقاصد الشريعة ودراستها والعمل على وضع قواعده وضبط مباحثه وطرق معرفته، لجلال قدر موضوعه وسمو هدفه، المتمثل في قضية مناهج القرآن والسنة، والتعمق في دراستهما، واستلزام الحلول الشرعية لكل ما وجد ويستجد من خلال هديهما، عن طريق إدراك مقاصد الكتاب والسنة وتنزيلها في الواقع.

ولا يخفى على المتأمل والمحقق أهمية هذا الموضوع وأثره في الفكر الإسلامي، فالتعليل المقاصدي (الغائي)، وتعلّل الأدلة الشرعية تعدّ خطوة ضرورية وأساسية

لفهم الشريعة الإسلامية وتنزيلها، وذلك لن يتحقق إلا بدراسة المقاصد، فكان هذا البحث ومن هنا أيضا يأخذ أهميته. فليست دراسة المقاصد عند ابن حزم التي هي موضوعنا، إلا محاولة لاستحضار مفهوم الغائية آنفة الذكر لتكون ماثلة للعيان، حاضرة في الأذهان عند كل محاولة اجتهادية حاضرا ومستقبلا.

وأهمية المقاصد الشرعية عند ابن حزم، تمثل في انطلاقها من ظاهريته التي تولي أهمية عليا للنص الديني، وتعتمد أساسا على فحواه، والدلالات القريبة لألفاظه، من دون الخوض كثيرا في التأويلات المعقدة المستمدة - أحيانا - من تراث فكري من خارج النص.

فمعلوم أن الفكرة الشائعة عن المذهب الظاهري عامة، أنه يتمسك بالدلالة الحرفية للنص ويتثبت بالظاهر، مما يجعله مذهباً يرفض - في تصريحاته - الاستدلال وجميع ضروب الاجتهاد المقاصدي، ويوقعه في ضيق الأفق النظري، ممثلاً في إبطال القياس والرأي والاستحسان والتعليل، وإن كان - في الواقع العملي - اضطر إلى العمل به، وذلك كما سيتضح في ثنايا بحثنا هذا.

وقد خصصنا للإمام ابن حزم الذي لا شك في أنه أقام منار المذهب الظاهري، وقوى أسسه وأبرز معالمه، ولا ريب أنه نجم من النجوم الثواقب في كل ضروب العلم والمعرفة المتداولة في عصره، وعالم من الأعلام الذين امتازوا بخصائص نادرة يقل من اتصف بها من الأنام من سعة العلم والمعرفة، حتى وُصف بأنه " الرجل الذي لا نهاية لمعرفته ". (معجم الفلاسفة، طرايشي جورج، ص 19، دار الطليعة بيروت، ط: 2 س: 1997 م)

### أسباب الاختيار:

السبب الرئيسي في اختياري لهذا الموضوع " المقاصد الشرعية عند ابن حزم " هو كونه غير مطروق، إذ لم يتناوله الدارسون عن ابن حزم بالبحث أو الشرح

الكافيان لهذا الجانب من فكرته، هذا رغم أن هناك البحوث والمقالات والكتب لا نستطع أن نحصرها قد كتبت عن الجوانب الأخرى مثل الجانب الفلسفي، والأصولي، والفقه، والشعري، والمنطقي، والسياسي، وغير ذلك.

ومن أسباب الاختيار لهذا الموضوع أيضا، الرغبة الكامنة في نفسي للتعرف على النواحي العلمية المتنوعة لشخصيته. فقد كنت في بداية دراستي في المرحلة الجامعية أطلع بعض الكتب الفقهية والأصولية والمقاصدية، وفي أثناء ذلك كنت أراجع كتاب " المحلى " وكتاب " الإحكام في أصول الأحكام "، كلاهما لفقيهنا الظاهري الأندلسي، فشتني هذا المصنف لما فيه من طول نفس في استعراض آراء العلماء، ومناقشتها والاستدلال لكل فريق منهم، بما لم ألاحظه في أي كتاب من كتب الفقه والأصول التي قرأتها. ومما تميّز به ابن حزم عن غيره - ممن كتب في فن الأصول - من سلاسة في الأسلوب وسهولة في العبارة ونثر فني رائع.

وعلى هذا، تكون دراستي لآراء ابن حزم المقاصدية تسدّ - أيضا - خلافا في علم المقاصد، ذلك أنه لم يكن كل من كتب في المقاصد اهتم به، فجاء هذا البحث سداً لذلك الخلل وتنميما لتلك الجهود، وإسهاما في تشييد صرح البنيان المقاصدي الهام.

#### منهج البحث:

كان منهجي في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي، المعتمد على العرض والاستقراء والمناقشة والتقييم. فقد تتابعت أفكاره المقاصدية من خلال مؤلفاته، ومن المصادر والمراجع الأخرى التي فيها تعرّض لآراء ابن حزم الأصولية والفقهية، ثم حلت كل ذلك وسعيت إلى إجلائه و أحيانا عملت المقارنة بأفكار غيره.

ولذلك قد رجعت إلى المصادر الأصلية التي تعدّ أصولا لهذا البحث ما استطعنا، أرجعت الأقوال إلى أصحابها، وتحققت من ذلك قدر جهدي إعمالا للأمانة العلمية، وبيّنت أرقام الآيات القرآنية ومواضعها من السور، وخرّجت الأحاديث النبوية

الشريفة الواردة في البحث من أمهات الكتب الحديثية، وشرّحت المصطلحات غير المبين مفهومها في البحث، وشرّحت الكلمات الغريبة معتمدا على القواميس اللغوية والكتب المتخصصة، ووضعت فهارس علمية تمكّن القارئ من الاستفادة منها بالعودة إلى مظانها في البحث.

### نقد المصادر والمراجع:

في الحقيقة، إن مكتبة الدراسات الحزمية زاخرة بالكتب والبحوث والمقالات، تناولتُ معظم جوانب فكره بصفة خاصة من كتابيه " المحلى " و " الإحكام في أصول الأحكام " وهما اللذان حظيا بعناية فائقة من حيث الدراسة. وطالعت أيضا كتابه النبذة الكافية، وملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل، والفصل في الملل والأهواء والنحل. ولكن مع الأسف أن مطالعتي لهذه الكتب لا تكون إلا بقدر الجهد والاستطاعة بعيدا عن الاستيعاب، ولذلك من المتأكد أن هناك الأفكار المقاصدية أو بل لبها التي لم أستطع أن أتطلع عليها.

وبالصراحة أن هناك كثيرا من المعاصرين الذين اهتموا بالدراسات عن أفكار ابن حزم، وعلى سبيل المثال نذكر بعض الجوانب التي تم التطرق إليها بالبحث، مثل : الإمام ابن حزم ومنهجه التجديدي في أصول الفقه، لأبي الفضل عبد السلام بن محمد، وقد أصدره المكتبة الإسلامية القاهرة (1422 هـ/2001 م)، والمنهج الحديثي عند ابن حزم الأندلسي، لطفه بن علي بو سريح، أصدره دار ابن حزم بيروت (1422 هـ/2001 م)، والنظرية اللسانية والبيانبة عند ابن حزم، لنعمان بو قرة، أصدره إتحاد الكتاب العربي دمشق (1425 هـ/2004 م)، والآراء التربوية لابن حزم وتطبيقاتها، لعبد الحميد سعيد علي، رسالة الماجستير بكلية التربية جامعة أم القرى مكة المكرمة (1414 هـ/1994 م)، وابن حزم ومنهج فكره الكلامي، لعماد همادي، أطروحة الدكتوراة بجامعة الزيتونة تونس (1406 هـ/1986 م)، وابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، لعبد الحليم عويس، أصدره دار الزهراء للإعلام العربي القاهرة، ( 1408 هـ/1988 م)، وابن

حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، ليفوت سالم، أصدره المركز الثقافي العربي الدار البيضاء (1406 هـ/1986 م).

ولكن على الرغم من هذا الإهتمام المكثف، فإن جانب المقاصد الشرعية ظل هضيم الحق، فالدراسات القليلة التي تعرضت له لم تتناول كافة قضاياها، وأخص بالذكر هنا:

1- ابن حزم حياته وعصره آراءه وفقهه، لمحمد أبو زهرة، أصدره دار الفكر العربي بيروت. حيث تعرض المؤلف فكرة المقاصد عند ابن حزم من خلال كلامه عن تعليل النصوص، وتعتبر هذه الدراسة رائدة في مجالها ومشهودا لصاحبها بالعلم والموضوعية.

2- الدليل عند الظاهرية، لأستاذنا المشرف نورالدين بن مختار الخادمي، أصدره دار ابن حزم بيروت. حيث أن في كتابه هذا لا يتعرض فقط عن مفهوم الدليل عندهم، ولكن بعد ما قرأنا كثيرا من موضوعاته، يبدو أنه بين موقف الظاهرية عموما وابن حزم خصوصا في الإجتهد المصلحي، المتمثل في القياس والاستصلاح وسد الذرائع والرأي وغير ذلك. فتعرض المؤلف لهذه القضايا، وإيدائه لحقيقة الأمر من وجود التعارض بين تصريحات ابن حزم والواقع العملي في الإجتهد المصلحي، يساعدني في البحث عن فكرة المقاصد عند فقيها الظاهري.

3- مصادر التشريع الإسلامي وطرق استثمارها عند ابن حزم، لأبي الطيب مولود السريري، أصدره دار الكتب العلمية بيروت، حيث أن النقطة المهمة لكتابه هذا، التي كثيرا ما ساعدتني في البحث، هي تعرضه لطرق استثمار مصادر التشريع، وهو بصدد هذا يفصل إلى مسلك ابن حزم في الدلالة، وطرق استثمار النص، ورأيه في المجاز، ورأيه في المفهوم.

## الصعوبات :

قد واجهت بعض الصعوبات مثل قلة وندرة محتوى الموضوع ومادته، سواء من خلال كتب ابن حزم أو من خلال المصادر والمراجع الأخرى. إذ الملحوظ عن تناول هذه الكتب لموضوع المقاصد الشرعية عنده، كونه تتاولا مقتضيا وموجزا إلى درجة يكاد معها أتوقع في الحرج الشديد في إنجاز البحث.

وكذلك قلة المصنفات التي وصلت إلينا من وضع ابن حزم، وذلك بسبب الإحراق وعدم اعتناء العلماء بها، بل إن الكتب التي ألفت في نقده أو الاعتراض عليه يعتبر جُلّها مفقودا، والقليل منها ما يزال مخطوطا. حيث ذكر إحسان عباس محقق كتاب الرد على ابن النغيلة اليهودية لابن حزم، عشرين مؤلفا له الذي لم يصل إلينا. (راجع: الرد على ابن النغيلة اليهودية: ابن حزم الظاهري، ت: إحسان عباس، ص 3 - 6، دار العرب القاهرة، س: 1960 م) هذا مع أن الذي وجد من تأليفه يعتبر ذخيرة علمية كبيرة. من خلالها حاولت بعد الاطلاع عليها أن أجمع آراءه المقاصدية.

ومن ناحية أخرى لم تخل قراءتي لمصادر هذا البحث ومراجعته من بعض الصعوبات، منها تشعب موضوعات البحث وتنوعها مما تطلب جهدا كبيرا لصهر في بوتقة واحدة وتصنيفها وتحليلها ونقدها.

هذا فإن ما سوف يتصرف إليه اهتمامي في هذا البحث، الذ هو نقد الفكرة السائدة والشائعة عن ابن حزم، والقائلة أنه يقف عند الدلالة للنص، ويرفض الاستدلال والاجتهاد المقاصدي بجميع أشكاله، ولنؤكد ان ابن حزم ومنهجه الفقهي والأصولي كان متشعبا بالفكرة المقاصدية، اعتبرته من الصعوبات الموضوعية التي واجهتني في هذا الجهد.

## الخطة العامة للبحث:

لقد أقيم موضوع البحث على ثلاثة فصول ومقدمة وتمهيد وخاتمة وفهارس. تضمنت المقدمة بيان إشكالية البحث، وأهميته، وأسباب الاختيار، والمنهجية، ونقد المصادر والمراجع، والصعوبات، والخطة العامة.

أما التمهيد فقد انطوى على الكلام عن شخصية ابن حزم وآثاره بصفة عجلة، وذلك من خلال عصره، ومعالم حياته، ولمحة عن مذهب الظاهرية، كما تكلمنا فيه عن منهجه الاجتهادية.

أما الفصول الثلاثة، فقد انطوت في مجملها على تسعة مباحث وأربعة وثلاثين مطلباً. وفي الفصل الأول استعرضت فكرة المقاصد الشرعية بشكل عام، وذلك من خلال إثبات أن للشرعية مقاصد من التشريع، وأنواع المقاصد الشرعية، وقواعد التعارض والترجيح بين المصالح والمفاسد.

وفي الفصل الثاني تكلمت عن العلاقة بين النصوص والمقاصد عند ابن حزم، وفيه ثلاث مباحث، الأول في مفهوم النصوص الشرعية، والثاني في الكلام عن موقف ابن حزم بين العمل بالظواهر والاعتبار بالمقاصد، والثالث في مبررات القول بأنه اعتبر بالمقاصد.

وأما الفصل الثالث فنركز الكلام فيه عن مظاهر المقاصد عند ابن حزم، وفيه ثلاث مباحث، المبحث الأول في بيان العقل ودوره في الشريعة، المبحث الثاني في الكلام حول ابن حزم والاجتهاد المقاصدي، المبحث الثالث في المبادئ المقاصدية المستنبطة من فقهه.

هذا وقد جعلت قائمة الفهارس تشمل فهرساً للآيات القرآنية، وفهرساً للأحاديث النبوية، وفهرساً للقواعد المقاصدية والأصولية والفقهية، وفهرساً للمصطلحات المقاصدية والأصولية والفقهية، وفهرساً للأعلام، وفهرساً للجماعات والقبائل

والفرق، وفهرسا للأماكن والبلدان والدول، وفهرسا للمصادر والمراجع، وفهرسا  
تفصيلاً للموضوعات.

وأخيراً، أترك لأساتذتي الكرام أمر الحكم على هذا البحث وتقييمه وتقويمه، ولا شك  
أن نصائحهم وإرشاداتهم ستثري الموضوع وتعمقه، فإن أخطأت فمن عندي، وإن  
أصبت فذلك من فضل ربي وتوفيقه، إذ الأمر كله رغم الجهد الطويل الذي بذل في  
هذا البحث لا يعدو أن يكون دعوة إلى الصواب، واستنهاضاً للهمم، والله يوفقنا  
جميعاً إلى طريق السداد ونهج الصواب.

تونس، 20 جوان 2006 / 13 جمادي الأول 1426 هـ

أرواني بن شيرازي



## التمهيد :

### شخصية ابن حزم وآثاره

#### (عصر الإمام ابن حزم)

في بداية الجولة سنعرض الظروف التي يعيش فيها مترجمنا، والتي تفاعل خلالها بكل مقومات شخصيته الذاتية مع مختلف جوانب الحياة في عصره الذي امتدّ من الربع الأخير من القرن الرابع الهجري إلى النصف الأول من القرن الخامس الهجري، وذلك من خلال الجوانب السياسية والاجتماعية والعلمية.

#### 1- الأوضاع السياسية :

عاش ابن حزم بين سنتي 384 - 456 هـ / 994 - 1064 م، وهي فترة تاريخية حرجة في الأندلس عامة، وقرطبة خاصة التي عرفت أكبر الدسائس والفتن الممثلة في الصراع السياسي على السلطة.(1)

وهذه الفترة يمكن تقسيمها إلى فترتين متباينتين، الفترة الأولى: وهي التي تمتد منذ منتصف القرن الرابع الهجري إلى نهايته، وشهدت ذلك البناء السياسي القوي المتماسك في ظل عدد من الخلفاء الأقوياء، الذين استطاعوا أن يوفرُوا الأمن والاستقرار لرعاياهم، وأن يحفظوا لبلاد الأندلس وحدتها وسياستها. أما الفترة الثانية فهي التي تمتد منذ بداية القرن الخامس الهجري إلى نهاية عصر ابن حزم، وشهدت انهيار ذلك البناء السياسي القوي وانحدار الأوضاع السياسية إلى ذلك المنعطف الخطير، من الفتن والحروب الأهلية التي قضت على وحدة الأندلس وأدت إلى

(1) ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس: سالم ياقوت، ص 5، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط: 1 س: 1986 م

تمزيقها إلى دويلات متعددة عرفت بدول الطوائف، حيث أصبحت المدن المهمة في الأندلس عواصم لهذه الدويلات الصغيرة. ومن أهم هذه الدويلات:

الدولة الزيرية من 403 - 483 هـ

الدولة الهودية من 410 - 536 هـ

الدولة العامرية من 412 - 478 هـ

الدولة العبادية من 414 - 484 هـ.

وكان عهد ملوك الطوائف بدأ منذ أن اضمحل أمر الخلافة الأموية واستبد بالأمير الحاجب المنصور بن أبي عامر (ت: 393 هـ)، ثم عودة الأمر إلى بني أمية، ومن ثمّ خلعهم واستيلاء بني حمود على السلطة إلى أن انتهى الأمر بوثوب الأمراء والموالي والوزراء وكبار العرب وأعيان البربر، وقام كل واحد منهم بأمر في ناحية. (1)

وقد تعرض ابن حزم في رسالته "التلخيص لوجوه التخليص" لبعض مظاهر الفساد السياسي الذي ظهر في عصره. حيث وصف ملوك الطوائف بأنهم محاربون لله تعالى ورسوله وسارعون في الأرض بفساد، لا يترددون عن ضرب المكوس والجزية على رقاب المسلمين، وتسليط جنودهم لقطع الطريق وتمكين اليهود من أخذ

(1) ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام: دوزي بنهرت، ص 6، مطبعة عيسى البابي الحلبي

وشركاه القاهرة، ط : 1 س: 1351 هـ .

الجزية والضريبة من أهل الإسلام. والله لو علموا أن في عبادة الصليبان تمشية أمورهم لبادروا إليها، فهم يستعينون بالنصارى ويمكنوهم من حرم المسلمين. (1)

وحاول بعض من العلماء والحكام إصلاح هذا الفساد السياسي ولكن دون جدوى، وكان من الحكام الذين حاولوا الإصلاح المتوكل بن الأفطس (ت: 489 هـ)، وأبو الحزم جهور بن محمد (ت: 435 هـ). وكان من العلماء الذين ساهموا في هذا الجانب أبو الوليد سليمان الباجي (ت: 474 هـ) ومترجمنا ابن حزم الأندلسي (ت: 456 هـ) الذي بذل محاولات عدة لم تسفر عن طائل. (2)

فابن حزم قد وقف بنفسه كشاهد عيان على ما اتسم به الوضع السياسي بالأندلس في حياته وواكب أحداثه بنفسه، وهذا الوضع السياسي تمحور في محورين هامين : يتمثل الأول في نهاية الخلافة الأموية بالأندلس إلى الأبد وذلك يتضمن نهاية ابن حزم سياسياً الذي استمد قوته من قوة الأمويين، ويتمثل المحور الثاني في نشأت الأندلس العربية الإسلامية وتمزقها أشلاء، وهذا يتضمن بداية النهاية لحضارة زاهرة واضمحلالها ثم محوها من الوجود.

## 2- الأوضاع الاجتماعية :

إن الوسط الاجتماعي الذي عاش فيه ابن حزم كان حافلاً بشتى مظاهر الاختلاط، فمن إختلاط بين الجنسين إلى الاختلاط بين العناصر والسلالات، ومن احتكاك بين المسلمين والنصارى إلى صراع بين أصحاب الفرق والمذاهب وتعلم جر...

(1) رسالة التلخيص لوجوه التلخيص، من رسائل ابن حزم - المجموعة الأولى - ت: إحسان عباس،

173/4 - 176 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط: 1 س: 1981 م

(2) تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة: حجي عبد الرحمن علي، ص 344 - 345،

دار القلم الرياض، ط: س: 1396 هـ

فالعناصر السكانية التي تعيش في بلاد الأندلس في تلك الفترة يمكن تقسيمها إلى خمسة أقسام: سكان البلاد الأصليون، والعرب، والبربر، والصقالبة، واليهود. فالأصليون ينتمون إلى أصول مختلفة، "لاتينية" و "إيبيرية" و "سلتية" وحتى "فينيقية"، وقد أطلق اسم "المسالمة" على من أسلم منهم لحظة الفتح وأطلق اسم "المولدين" على أبنائهم.(1)

أما العرب فهم الذين كانوا لتقافتهم وللغاتهم ولأخيلتهم ولصورهم البيانية الرائعة السلطان الكامل، لذلك كان للأندلس مظهر أدبي وفكري واحد وحدته تلك اللغة السامية لغة القرآن. وهؤلاء العرب - سواء من فتحو الأندلس أم من أتى بعد ذلك - يرجعون إلى أصليين: الأول العرب الذين ينتمون إلى قبائل عدنان أو القبائل المضربية، وهم قبائل شمال الجزيرة العربية ومنهم قريش، والأصل الثاني العرب الذين ينتمون إلى قبائل قحطان أو القبائل اليمانية وهم قبائل جنوب الجزيرة العربية.(2) وفي هذا السياق يقول ابن المقرئ (ت: 379 هـ): وأهل الأندلس يحافظون على قوام اللسان العربي لأنهم إما عرب أو متعربون.(3)

وقد اختلط المسلمون بالنصارى، وكان المجتمع الإسلامي فوق العناصر المختلفة والسلالات المتباينة في الطبائع والجيالات. فالنصارى كانوا يغدون إلى الأندلس وفودا من حكام القسطنطينية،(4) ومنهم الذين يصاقبون المسلمين، و كانوا فوق ذلك

(1) الفكر التربوي في الأندلس: عبد البديع الخولي، ص 31، دار الفكر العربي ط : 2 س: 1985 م

(2) ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه: محمد أبو زهرة، ص 112، دار الفكر العربي ط: د.ت

(3) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقرئ، ت: إحسان عباس، 125/1، دار

صادر بيروت، س: 1408 هـ - 1988 م

(4) قسطنطينية: ويقال قسطنطينية باسقاط ياء النسبة، قال ابن خرداذبه: عمرها مالك من ملوك الروم يقال

له قسطنطين فمسيّت باسمه، والحكايات عن عظمها وحسنها كثيرة. (راجع: معجم البلدان: ياقوت

الحموي، ت: فريد عبد العزيز الجندي، 395/4، دار الكتب العلمية بيروت، س: 1410 هـ - 1990 م)

في البلاد ذميين، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين والعدالة الإسلامية ترفرف على الجميع.

وإلى جانب النصارى برزت سلالة أخرى واختلت مكانا واضحا وظاهرا في المجتمع الأندلسي، وهذه السلالة تتمثل في اليهود الذين لم يخل منهم مكان ولا زمان، نظرا لحركتهم النشيطة في جميع نواحي الأعمال وخاصة المراكز الحساسة في الأمة. اشترك اليهود في الحياة مشاركة فعالة، وكانوا منبئين في طول البلاد وعرضها، منهم من أمسك مالية الدولة مثل حسداى بن شبروط الذي كان يسيطر على مالية الدولة في عهد عبد الرحمن الناصر (ت: 350 هـ)، ومنهم من ارتقى إلى منزلة الوزارة مثل إسماعيل بن نغرة في ظل الأمير البربري "حبوس" في غرناطة، وكان لليهود تأثير كبير في مساعدة بعض الأمراء وخذل بعضهم. (1)

وتكوّن المجتمع الأندلسي أيضا من عنصر آخر كانت له قيمته المرموقة وهو العنصر النسائي، لم يكن في بلد من البلاد الإسلامية بمقدار ما كان فيه. وهو ظهور نساء كثيرات من الأدبيات والشاعرات، ومن بينهن من يجدن العلوم ويتكلمن فيها كلام المتخصصين، فلا عجب إذا كان ابن حزم قد تلاقى علومه الأولى على النساء. (2) واهتمّ جل الدارسين للمظاهر الاجتماعية الأندلسية أمثال ابن بسام في "الذخيرة" والمقرئ في "نفح الطيب" وغيرهما، حيث أكدوا تأكيدا واضحا على مكانة العنصر النسوي بالأندلس.

(1) ظهر الإسلام: أحمد أمين، 36/3، دار الكتاب العربي بيروت، ط: 5 د.ت

(2) ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه: محمد أبو زهرة، ص 121 - 120

### 3- الأوضاع العلمية :

نشطت الحركة العلمية بقرطبة في العصر الأموي وما تلاه من العصور الإسلامية حتى سقوطها في أيدي القشتاليين(1) نشاطا لا مثيل له، حتى غدت يحق العلوم ومركز الأدب وأصبح اسمها يرتبط ارتباطا وثيقا بالعلم، بل أصبح العلم من معالمها البارزة التي يتفاخر بها أبناء قرطبة، ويعبر الفقيه أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية عن ذلك بهذين البيتين :

بأربع فاقت الأمصار قرطبة      وهنّ قنطرة الوادي وجامعها

هاتان ثنتان والزهراء الثالثة      والعلم أكبر شيء وهو رابعها(2)

ومن أبرز الأسباب التي يمكن إرجاع هذا التقدم العلمي بها، اهتمام ملوك الطوائف وتنافسهم في تكريم العلم والعلماء وتعدد المراكز الثقافية بتعدد دول الطوائف في بلاد الأندلس، وتمتع العلماء في ذلك العصر بقدر أكبر من الحرية الفكرية. فإن الدويلات والامارات التي استقلت في مختلف أنحاء الأندلس استجلبت العديد من العلماء، خصوصا وأن أمرائها كانوا يرغبون في إضفاء مظاهر الملوك على أنفسهم وبلاطهم، لذا كان حرصهم على اصطناع العلماء ضمن حاشيتهم كحرصهم على اصطناع أعوانهم ومرافيقهم وأنصارهم.(3)

(1) هؤلاء الذين نسبوا إلى بلاد قشتالة، وهي جهة شمال الأندلس خلف الجبل، إقليم عظيم قصبته اليوم

طليطلة وجميعه اليوم بيد الأفرانج، (راجع: معجم البلدان: ياقوت الحموي، 4/400).

(2) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقرئ، 2/146

(3) ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس: سالم يفوت، ص 31-32

غير أن الحركة العلمية في قرطبة لم تصل إلى ذروتها إلا في عصر الخلافة، وعلى الأخص في زمن الحكم المستنصر، (1) وكان الحكم أكثر خلفاء بني أمية حبا للكتب جمع في أنواعها بما لم يجمعه أحد من الملوك قبله. وذكروا أنه جمع من الكتب ما لا يحصى ولا يوصف كثرة ونفاضة حتى قيل : إنها كانت أربعمئة ألف مجلد وأنهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها. (2)

أما من الناحية الفقهية في ذلك العصر فإن المذهب الذي كتب له الانتشار بالأندلس والغرب الإسلامي عامة هو المذهب المالكي، مما أعطى للدراسات الفقهية طابعا معيناً يميل إلى الفروع أكثر من ميله إلى الأصول. وكان ازدهار الثقافة الأندلسية وانتعاشها في صورة ثقافة دينية بلغت أوجها مع حركة التجديد التي نبعت من داخل الفقه المالكي نفسه وبدعم من أمراء بني أمية والتي تسمى بحركة أهل الحديث. (3)

ولا شك أن ابن حزم قد تأثر بتلك الأحوال المختلفة في ذلك العصر وما كانت عليه من القوة والضعف، وفي نفس الوقت فإنه ترك أثره واضحا في مختلف تلك الجوانب في ذلك العصر من خلال مواقفه تجاه قضايا عصره وأفكاره المبتوثة في مختلف مؤلفاته العلمية.

### (معالي حياة ابن حزم):

بعد أن بيّنا الظروف التي يعيش فيها مترجمنا من الأوضاع السياسية والاجتماعية والعلمية، ولو بطريقة عجلة، فهنا لا بد لنا من التعرض في الكلام عن معالم حياته من الاسم والنسب، والشيوخ الذين تتلمذ عندهم، والتلاميذ الذين أخذوا منه، ثم الكلام حول مكانته العلمية وكذلك آثاره، وهذه كلها ما سنبحثه في هذه الفرصة.

(1) تولى الحكم بن عبد الرحمن الثالث الخلافة وتلقب بالمستنصر بالله بعد وفاة أبيه الخليفة عبد الرحمن

الثالث الملقب بالناصر لدين الله، وامتدت مدة خلافته ست عشرة سنة من عام 350 إلى عام 366 هـ.

(2) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ 1/385-395 (بالتصرف)

(3) ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس: سالم يفوت، ص 251

## 1- اسمه ونسبه وكنيته ولقبه :

هو أبو محمد علي ابن أحمد ابن حزم الأندلسي، وكمال نسبه ذكره الذهبي (ت: 748 هـ) في ترجمته: ابن حزم الإمام الأوحى البحر ذو الفنون والمعارف أبو محمد علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي. (1) فحزم - وهو كما نرى جد أبيه - هو الذي إليه ينتسب وبه يعرف.

عين تاريخ ميلاده بالساعة لا باليوم ولا بالشهر والسنة فقط، فقد كتب إلى القاضي صاعد بن أحمد بن الجياني الأندلسي (ت: 462 هـ) أنه ولد في يوم الأربعاء آخر يوم من أيام رمضان سنة 381 هـ، وكانت ولادته في تلك الليلة بعد الفجر وقبل شروق الشمس، وذلك يدل على عناية أسرته بتاريخ ميلاد أحادها وهو نوع من الرقى الفكري. وكان مولده بالجانب الشرقي من قرطبة التي كانت حاضرة العلم في أوروبا في ذلك الإبان.

وقد نشأ في بيت له سلطان في الدولة، وله ثراء وجاه وشرف بفضل جهود والده أبي عمرو أحمد بن سعيد (ت: 402 هـ) الذي كان أحد العظماء من وزراء المنصور محمد بن عبد الله بن أبي عامر (ت: 393 هـ)، ووزراء ابنه المظفر عبد الملك (ت: 398 هـ) بعده والمدير لدولتيهما. (2) ولم تكن جدية الوالد وحسن تدبيره ليدفعا إلى مهامه السياسية مهملاً شؤون ابنه واحكام تربيته، بل زاده حرصاً على الفتى وإقبالاً على تنشئته تنشئة تليق به عسى أن يكون له خير خلف.

(1) سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، 540/13، ت: محب الدين أبو سعيد العمروي،

دار الفكر بيروت، ط: 1 س: 1417 هـ - 1997 م

(2) طبقات الأمم: صاعد بن أحمد بن الجياني الأندلسي، ت: حياة بو علوان، ص 182، دار الطليعة

بيروت، ط: 1 س: 1985 م



وكان ابن حزم يعتز بأنه طلب العلم لا يبغي به جاها ولا مالا ولكن يبغي المعرفة لذات المعرفة. يروى في ذلك أنه تناظر مع الإمام الباجي (ت: 474 هـ) - شارح الموطأ - وهذه هي المناظرة كما جاءت في نفح الطيب: قال الباجي : أنا أعظم منك همة في طلب العلم لأنك طلبته وأنت معان عليه فتسهر بمشكاة الذهب وطلبته وأنا أسهر بقنديل السوق. فقال ابن حزم : هذا الكلام عليك لا لك، لأنك إنما طلبت العلم وأنت في هذا الحال رجاء تبديلها بمثل حالي، وأنا طلبته في حال تعلمه وما ذكرته فلم أرج به إلا علوّ القدر العلمي في الدنيا والآخرة.(1)

ولم يسلم ابن حزم من طعن في نسبه، فقد أنكر أبو حيان التوحيدي(2) نسبة ابن حزم إلى فارس، وقال: إنه من عجم "لبلة"(3) وغير معروف الجنس وأن أباه أحمد هو الذي رفع شأن هذه الأسرة. ونفس الشيء ذهب ابن سعيد من أن نسبة ابن حزم إلى الفرس ادعاء،(4) وأكد على هذا التشكيك المفكر المعاصر محمد طه الحاجري حيث جزم بأن أسلاف ابن حزم ظلوا على نصرانيتهم بعد الفتح الإسلامي أمدا غير

(1) سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، 13 / 540، وانظر أيضا تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية: محمد أبو زهرة، ص 552، دار الفكر العربي بيروت، ط: د.ت.

(2) هو فقيه وفيلسوف ومتصوف وصاحب مصنفات مختلفة، عاش في القرن الرابع الهجري، ولم يصل إلينا إلا القليل عن سيرته، ولكننا نستدل من الوثائق التي ذكرها ياقوت الحموي أنه كان على قيد الحياة في رجب عام 400 هـ، وأنه توفي بالغا من العمر أكثر من ثمانين عاما. (راجع: موجز دائرة المعارف الإسلامية، 325/2، مركز الشارقة للابحاث الفكري، ط: د.ت.).

(3) هي مدينة قديمة في غرب الأندلس على خليج البحر المحيط وتقع على الطريق بين إشبيلية و ولبة، وكانت لبلة تعرف باسم لبلة الحمراء (راجع: المقتبس من أبناء الأندلس: ابن حيان القرطبي، ت: محمود علي مكي، ص 626، س: 1393 هـ - 1973 م)

(4) المغرب في حلي المغرب: علي أبو الحسن بن سعيد، 355/1، نشر شوقي ضيف القاهرة، ط: 4 س:

قصير، وأن هذه الأسرة لم تتخذ الإسلام ديناً إلا منذ منتصف القرن الثالث للهجرة تقريباً. (1)

وأنا لا نكذب ابن حزم في نسبه، فهو أعلم الناس به وقد استمرت أسرته في خدمة البيت الأموي انتقلت معه لما انتقل إلى الأندلس يحكمها. ومن جهة أخرى رأينا صاعد بن أحمد الجبائي (ت: 426 هـ) - على ما هو متصف به من التحري - من أول المؤرخين الأندلسيين الذين يقرّون فارسية ابن حزم، وبهذا يتأكد أن مترجمنا فارسي النسب أموي الولاء. وأنه إذا كان قد عقد ولاءه جدّه الأعلى مع يزيد بن أبي سفيان، فإن ذلك يقتضي أن تكون أسرته عريقة في الإسلام من وقت ذلك العقد. (2)

## 2- شيوخه وتلاميذه :

ساهم في تكوين ابن حزم عدّة عوامل، إلا أن أهمها عندنا عاملان اثنان هما: الشيوخ الذين علّموا الفتى المريد، والتيارات الفقهية التي انتشرت في سائر بلاد المسلمين، ونعني بذلك فلسفة المذاهب الفقهية. ويذهب ابن العماد الحنبلي (ت: 1089 هـ) في الشذرات إلى أن أحمد بن محمد بن الجسور (ت: 401 هـ) أكبر شيخ له تلقى عنه الحديث وروى عنه بالسند الصحيح في كتاب الأحكام. وابن الجسور محدث جليل روى عن قاسم بن أصبغ (ت: 430 هـ) مسند أهل الأندلس في الحديث. (3)

و نذكر من أبرز شيوخه الذين أخذ عنهم وتتلّمذ لهم إما بتتصيص على ذلك، أو من خلال اعتماده عليهم في الرواية حسب ترتيبهم في الوفاة :

- (1) ابن حزم صورة أندلسية: محمد طه الحاجري، ص 23، دار النهضة العربية ببيروت، س : 1982 م
- (2) تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية: محمد أبو زهرة، ص 551
- (3) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، 161/3، دار الفكر ببيروت، ط: د.ت.